

منهج الجغرافيا واساليب التحليل فيها

أ.د. مضر خليل عمر

تردني بين حين وآخر تساؤلات من طلبة الدراسات العليا ، ومن بعض الزملاء والزميلات الاعزاء ، والاجابة عنها تتطلب تفكيراً وتوضيحاً يتجاوز الاجابة القصيرة والرد السريع لاهميتها وتجنباً لسوء الفهم واللبس في المصطلحات والمعاني والمقاصد . واخر سؤال طرح علي فيه استفسار وطلب للتوضيح بخصوص (منهجية واساليب تحليل الظواهر والمشكلات الاجتماعية من منظور جغرافي) . في البدء ساجيب بما يرد في ذهني في الوقت الراهن من اجابة ، ثم انتقل للاستئارة بما ورد من اجابات الذكاء الاصطناعي ، تعزيزاً وتنويعاً للرأي والتفسير .

يعتمد في عنوانات الرسائل والاطاريح الجامعية مفردات : تحليل جغرافي ، البعد المكاني ، التباين الجغرافي ، التباين المكاني ، الانماط المكانية ، المنظور الجغرافي ، وغيرها . ولعل السبب وراء ذلك تداخل التخصصات الجغرافية الفرعية مع اهتمامات العلوم الاخرى وتشابكها في المكان قيد الدراسة . الجغرافيا محورها المكان و عمودها الفقري خريطته (التباين المكاني – التوزيع الجغرافي) ، ومنظورها حيث يمتد البصر في المكان (الشمولية) ، واسلوبها المسح الميداني (الاقدام) و الاختبار الميداني (اليدين) ، وبهذا تتكامل النظرة الشمولية مع الجزئيات التفصيلية التي تمثل تركيبة المكان و كينونته . (1) فالجغرافيا شمولية وتركيبية في ان واحد . (2) اما طريقة التحليل المعتمدة في الابحاث الجغرافية ، فالجغرافي لا يستغني عن طرائق التحليل الاحصائية (الحتمية) ولا قوانين الطبيعة (الحتمية) ولا وجهات نظر الناس وتقييماتهم (المعنوية) ، كل حسب اهميته وتوافره وعلاقته بموضوع البحث . ولان الظاهرة او المشكلة قيد الدرس اجتماعية ، فنظريات علم الاجتماع هي القادرة على التوضيح والتفسير . (3) وللعلم فان الجغرافيا تدرس المجاميع الاجتماعية وليس الافراد (منهج دراسة المجموعة) .

اما بالنسبة لطريقة التحليل فالامر مرهون بهدف الدراسة وطبيعة البيانات ومدى تناسبها مع الطريقة المختارة وبما يحقق الهدف البحثي . فهناك طرائق تتطلب قيماً صحيحة (تكرارات) ، واخرى تتقبل النسب و \ او النسب المئوية ، والاخرى تستوجب وجود عدداً معيناً من القراءات لتعطي النتيجة الصحيحة . وايضا هناك طرائق تحليل لا كمية وطرائق لا معلمية مقبولة ومعتمدة في الدراسات الجغرافية . خلاصة القول : التباين المكاني هو محط نظر الجغرافي ومركز اهتمامه ، يليه تفسيره للظاهرة او المشكلة قيد الدرس مكانياً (افقياً) و زمنياً (عمودياً) ، بعد التحقق من اسبابها والعوامل المؤثرة عليها ، و دورة حياتها . فالجغرافي يتقصى المشكلة او الظاهرة قيد الدرس وعلاقتها بخصائص المكان (الطبيعية والبشرية) من خلال الاجابة عن تساؤلات : اين ، لماذا ، وكيف ؟

دعماً لما ورد انفاً ، انقل بعض ما جاء في اجابات الذكاء الاصطناعي عن هذا التساؤل .

أهمية المنظور الجغرافي في البحث العلمي:

الجغرافيا تعرف الناس بالخصائص الطبيعية والبشرية في أي مكان أو منطقة من العالم دون الوصول اليها ، وهذا البعد المكاني مهم جداً ، ويعني ذلك أن المنظور الجغرافي يساعد في التعرف على الخصائص المكانية وما تشهده من تغير بيئي وصراع بشري ، حيث تهتم الجغرافيا بدراسة تطور حياة الإنسان وتنظيم

¹ https://www.muthar-alomar.com/?attachment_id=2502

² <https://www.muthar-alomar.com/?p=2805>

³ <https://www.muthar-alomar.com/?p=2773>

سطح الأرض , وكيفية حدوث التفاعلات المادية والبشرية وتحديد المواقع والمناطق والأحداث الطبيعية والبشرية والعملية التي تحدث فيها , أن مثل تلك المعلومات عندما توضع أمام صانع القرار يستطيع تحديد الإجراءات التي يجب اتخاذها لمواجهة التدهور البيئي المتسارع في كافة أنحاء العالم , أو أسباب تزايد الفوارق بين الأغنياء والفقراء , ماهي الآليات التي تفقد النظام المناخي في العالم ما هي أسباب تزايد الفيضانات في الآونة الأخيرة , كيف يمكن للمجتمع التعامل مع هذه الأحداث , كيف تغير تكنولوجيا النظم الاقتصادية والاجتماعية لمعالجة هذه المسائل والتي تتجاوز القدرات والخبرات المتاحة .

المنظور الجغرافي يعني أهمية المكان والفضاء في العمليات والظواهر , وقد نثار الكثير من التساؤلات حول ذلك , لماذا توجد ظاهرة ما في مكان دون غيره ؟ لماذا تتوزع النباتات بشكل متباين ؟ كيف تؤثر الظواهر الموجودة في نفس المكان على بعضها البعض ؟ وكيف تؤثر الظواهر الموجودة في أماكن مختلفة على بعضها ؟ كيف تؤثر العمليات الجغرافية التي توجد في نطاق جغرافي واحد على أنواع العمليات الأخرى , ما هي الجهود المبذولة لتحقيق التغير في النواحي السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو البيئية ؟

أن أهمية المنظور الجغرافي تكمن في عدة مجالات ذات علاقة بحياة الإنسان ونشاطاته المختلفة , فالولايات المتحدة الأمريكية تعمل بجدية على إعادة تشكيل الاقتصاد العالمي , كما تسعى كل دولة لاتباع أحدث وأفضل الأساليب في تقديم أفضل المنتجات والخدمات العالمية للمستهلك , ولذلك لم يعد المواطن الأمريكي في أعلى مستوى من المعيشة في العالم , فهناك الكثير من الدول تعمل على مواجهة الظروف الاقتصادية الجديدة بشكل أفضل من الولايات المتحدة , حيث ركزت العديد من الدول على الأبعاد الاقتصادية لمواجهة التغيرات التي يشهدها العالم , منها على سبيل المثال الحد من الأنفاق العسكري والاهتمام بالبيئة , والسؤال الذي يطرح نفسه جغرافيا لماذا السلع والمال والأعلام والقوة توجد في مكان دون غيره ؟ ماهي خصائص هذا المكان ؟ ماهي الإجراءات المتخذة على الصعيد الوطني أو الإقليمي أو المحلي من أجل تحسين الوضع الاقتصادي وتحقيق التنمية ؟ ما علاقة التغيرات الاقتصادية بالتغيرات البيئية العالمية ؟

الجغرافيون على مستوى من الفهم بالتغيرات الاقتصادية العالمية من خلال التركيز على المكان والفضاء , وفي هذا السياق أن المكان يعني اثر الموقع , أي العلاقة بين المواقع والتغير الاقتصادي والتنمية , على سبيل المثال استخدم كل من غلا سميرو وهو لاندري (1995) اثر تكنولوجيا المعلومات المتقدمة على سرعة تنوع ونمو الخدمات في المناطق الريفية الأمريكية , رغم وجود اختلافات فيما بينها من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية .

أن إعادة اكتشاف الجغرافيا له أهمية كبيرة على المستويين العلمي والاجتماعي , وهذه الأهمية تبلورت من خلال وجهات نظر متعددة لعدد من الجغرافيين الذين يتفاعلون مع العالم المحيط بنا , وهنا يتم التركيز على المقصود بالمنظور الجغرافي سواء كان في مجال البحوث التطبيقية أو التعليم والحياة العملية , حيث تطل الجغرافيا على العالم من خلال العدسات المكانية والفضائية وعلى نطاق واسع يضم عدة مجالات منها البيئة الاجتماعية المتصلة بديناميكية العمل الإنساني بالبيئة الطبيعية , وديناميكية البيئة تربط بين النظم المادية والبشرية والديناميكية الاجتماعية وترتبط بالنظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

وتمثيل البعد المكاني قد يكون وصفيًا أو كميًا حسب المعطيات المكانية , حيث يركز الجغرافيون على العالم الحقيقي من خلال العلاقات والروابط بين الظواهر والعمليات التي يمارسها الإنسان في المكان , ويسعى الجغرافيون إلى فهم العلاقات المكانية , وأهمية الخصائص التي تحدد المكان , وكذلك التركيز على أهمية الزمان في تلك العلاقات , كل ذلك ساعد الجغرافيون للاهتمام بالإجراءات والتعقيدات المكانية التي تتم دراستها في التخصصات النظرية الأخرى , فالتكامل في الأماكن الطبيعية يتم اختبارها من خلال دراسة

العلاقات المعقدة بين العمليات والظواهر . والجغرافيا العريقة تحاول فهم كيفية تفاعل العمليات والظواهر في أي مكان , وكيفية حدوث تلك التفاعلات والتي تظهر الطابع الجغرافي .

فمنهجية التحليل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والبيئي وعمليات التفاعل في المكان تقدم فهما متكاملًا و متميزًا في طابعه الجغرافي , ويظهر التحليل المنهجي المتبع في كثير من المناطق بشكل غير كامل إلا إذا أخذ بنظر الاعتبار العمليات التي تتجاوز حدود المكان , ولابد من ربط تلك العمليات ببعضها , حيث تستخدم التقنيات الحديثة في البحث الجغرافي للمراقبة والتحليل والعرض , فالتعرف على التوازن المكاني يحتاج إلى جمع بيانات وتبويبها وتحليلها وعرضها , أو بيانات استراتيجية تحتاج إلى أخذ عينات وتحليلها مختبريًا وتصميم وتمثيل بيانات وأساليب لتحليلها ونماذج ونظريات , إذ تستخدم التقنيات الحديثة لهذا الغرض , حيث تطورت أساليب التحليل عما كانت عليه سابقًا والتي كانت تقتصر على عمليات حسابية بسيطة , أما في الوقت الحاضر فقد استخدم الجغرافيون العديد من الأجهزة التي تستخدمها العلوم الأخرى , كما استخدمت العلوم الأخرى أدوات ومعدات جغرافية , ومنها نظم المعلومات الجغرافية التي تستخدمها كل العلوم الأخرى وفي كافة المجالات التطبيقية والنظرية والتعليمية .

يظهر مما تقدم أن الجغرافيا توفر بيانات ومعلومات على كافة المستويات تساعد أصحاب القرار في اتخاذ أفضل القرارات , وهذا يعني مساهمة الجغرافيا في رسم سياسة الدول واتخاذ القرارات ويكون ذلك بطرق متنوعة ومنها نشر نتائج الأبحاث في المجالات المتخصصة والمؤلفات المتنوعة , ويكون لتلك الآراء صدى كبير على القرارات المباشرة , كما تؤثر على المجتمع بشكل عام عندما تتضمن مفاهيم ذات علاقة بحياتهم . ومن الجدير بالذكر أن مثل تلك البحوث يجب أن تكون قبل اتخاذ القرار لتعطي ثمارها , وأن لا تكن لتبرير قرارات تم اتخاذها لأسباب معينة , والمساهمة الجغرافية تعني كيفية تأثير العوامل الجغرافية الأساسية في قرارات قادة المجتمع . ومما تجدر الإشارة إليه أن هنالك قيود متأصلة في العلاقات بين العلم والحكومات من جهة وبين الأكاديميين ورجال الأعمال من جهة أخرى , ورغم كل ذلك أسهمت الجغرافيا بشكل فاعل في التوازنات الإقليمية والمحلية والوطنية والدولية , وقد احتل الكثير من الجغرافيين مواقع استشارية متقدمة في الدولة .

وقد تميزت الجغرافيا عن غيرها بأنها تضم علوم طبيعية وبشرية وهذا ما جعلها تنفرد بتلك الخاصية وعدم تبعيتها لجانب معين , والجغرافيون يسرون بخطى منتظمة وثابتة تتناسب مع التطور العلمي والتكنولوجي في بناء هياكل نظريات ونماذج وأساليب تكنولوجية تعتمد على المفردات التقنية , وهذا ما أعطى الجغرافيا مادة أساسية في فهم العالم , حيث يستخدم الجغرافيون الأدوات المتاحة لوضع الحلول المناسبة والهامة للمشاكل التي تواجه الإنسان , ففي ورقة قدمت في الاجتماع السنوي لرابطة الجغرافيين الأمريكيين والتي أقر فيها خبراء نظم المعلومات ومنهم غيسكينس مايك الذي أوجز بعض المساهمات النوعية والكمية الفريدة في الجغرافيا والتي أحدثت تكاملاً جغرافياً ربط بين العلم والأبعاد المادية والبشرية , والسعي لفهم العلاقات البشرية والبيئية والتي تطورت خلال أربعة عقود من التحليل المكاني باعتماد مجموعة من الأدوات التحليلية والتي تستند وبشكل واضح على معرفة مكونات أو عناصر المكان وبالاعتماد على بيانات ذات مرجعية مكانية ومن خلال استخدام الإدراك المكاني , وقد كان لمصادر المعلومات من خرائط وأفلام وصور استشعار عن بعد الأثر الكبير في العقل الجغرافي لتفسير أنماط توزيع الظواهر والعلاقات المكانية بينها , والتي انعكست أثارها على اختراع تقنية نظم المعلومات الجغرافية .

نظرية المكان الجغرافية أصبحت حقيقة والتي تكتمل فيها كل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والجيومورفولوجية والهيدرولوجية والأرصاد الجوية , والتي كانت تعتمد على نظريات العلوم الأخرى ذات العلاقة بالجغرافيا خلال سنتين سنة الأولى من القرن العشرين . والجغرافيون اليوم أكثر من أي

وقت مضى قادرون على تقديم بحوث عن فهم خصوصية المكان , فقد قدمت دراسات عن أثار السدود على مجاري الأنهار والنشاط البشري أسفل النهر أو بعد السدر والآثار المترتبة على تدمير تلك السدود ولأي سبب كان , ودراسات أخرى عن كيفية تعلم الناس في المدرسة كل ذلك خلق نوع من التداخل بين العلم والعمل وعلم النفس المعرفي والجغرافيا , وهذا يعني التفكير بمهارات المكان الأساسية اللازمة لتحقيق النجاح والاندماج في الحياة العملية . الجغرافية سوزان هانس (جامعة كلارك) وضعت في الآونة الأخيرة مجموعة من المناهج العلمية حول التغيرات المكانية العالمية والمحلية , وتضمنت أثار التغيرات الحرارية على الزراعة ونظم البيئة المحلية في العالم . الجغرافيون ما يكل ولوك غودشيلد أسسا مركزا جديدا لدمج التحليل المكاني في العلوم الاجتماعية , ويعكس هذا التطور اعتراف تلك العلوم بأهمية تحليل البيانات المكانية . ويتنافس اليوم الجغرافيون والمخططون وغيرهم حول كيفية استخدام نظم المعلومات الجغرافية في كل مجالات الحياة العملية , ويعود كل ذلك إلى الجغرافيا وما يمكن أن تقوم به من دور عالمي ومحلي والذي يساعد صانعو القرار في أعلى المستويات على حل المشاكل المتوقعة مستقبلا. (4)

منهجية العلم والبحث

يتقاطع الجغرافيون مع العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية , باستخدام المفاهيم والأساليب على حد سواء , لدراسة العلاقات التفاعلية بين الإنسان والبيئة بكل تعقيداتها . هذه المنهجية التكاملية هي السمة المميزة لعلم الجغرافيا , وفي الوقت نفسه تعدُّ من أبرز معالم جذب الدارسين لها . ومع الثورة في علوم التقنيات المكانية , مثل: الخرائط الرقمية , ونظم المعلومات الجغرافية , والاستشعار عن بُعد , والتوقيع الأرضي وغيرها , أصبح الجغرافي لديه أقوى أساليب التحليل الكمي المكاني الذي لا يستغني عنه أي صانع قرار , في أيِّ مجال يتعامل مع بيانات ذات ارتباط مكاني . بنسبة تصل الى 80% هذا الأفق الكبير لمجال علم الجغرافيا ليست سمة نقص وإنما سعة أفق ضرورية لفهم الواقع , بغرض حل مشكلاته المعقدة أو متعددة الأوجه . وعليه , فإنَّ الجغرافيا ليست مادة ثقافية وصفية في التدريس والبحث , بل علمية لها أسس ومفاهيم وأدوات متنوعة ومتعددة , ولا يخلو بحث علمي من بعض الأساليب الإحصائية أو الرياضية أو الهندسية , إنما وفق منظور الجغرافي المعني أساسًا بالربط بين مختلف الظواهر الجغرافية . وبناءً على ما تقدّم , لتتضح الصورة أكثر , يمكن تقديم مثال تطبيقي تقني- من أمثلة لا يمكن حصرها- يبين من هو المعنيُّ بالقيام به , محاولة لإبراز دور الجغرافي وتلخيصًا لأهم ما جاء في تعريف علم الجغرافيا , وذلك على النحو الآتي, ابتداء بصيغة تساؤلية :

"أي المسار الأقل تكلفة لإنشاء طريق من نقطة (أ) إلى النقطة (ب) في منطقة دراسة معينة . من منظور تخطيطي تأخذ الإجابة على هذا التساؤل عدة عناصر وعوامل جغرافية في الاعتبار ؟" هنا يستعمل الجغرافي التقنيات المكانية لإنتاج وتحليل وعمل مطابقة خرائطية. (5)

1. البحث المسحي: تتضمن هذه الطريقة جمع البيانات من عينة كبيرة من الأفراد من خلال الدراسات الاستقصائية أو الاستبيانات . يساعد على التعرف على الاتجاهات والأنماط في المجتمع . 2
2. مجموعات التركيز: يتم جمع مجموعة صغيرة ومتنوعة من الأشخاص معًا لمناقشة قضية أو موضوع معين , ويتم تسجيل رؤاهم. 3

⁴⁾ <https://mail.almerja.com/reading.php?idm=182314>

⁵⁾ <https://almerja.net/reading.php?idm=176957>

3. الإثنوغرافيا: تتضمن هذه الطريقة مراقبة ودراسة الناس في بيئتهم الطبيعية لفهم سلوكهم الاجتماعي ومشاكلهم. 4
4. دراسات الحالة: تتضمن هذه الطريقة تحليلاً متعمقاً لحالة أو حدث واحد لفهم الأسباب والآثار الكامنة وراء مشكلة اجتماعية. 5
5. التحليل الإحصائي: تتضمن هذه الطريقة تحليل البيانات الموجودة من مصادر مختلفة لتحديد الارتباطات والعلاقات بين المتغيرات. 6
6. تحليل المحتوى: تتضمن هذه الطريقة تحليل الوسائط ومصادر المعلومات الأخرى لتحديد الأنماط والاتجاهات.

عدة طرق تحليلية تستخدم في دراسة المشكلات الاجتماعية ، منها طرق البحث الكمي ، وطرق البحث النوعي ، والأساليب المختلطة . تتضمن طرق البحث الكمي جمع وتحليل البيانات الرقمية باستخدام التقنيات الإحصائية والرياضية . ويمكن استخدام هذه الأساليب لاختبار الفرضيات واستخلاص النتائج حول المشكلات الاجتماعية . تتضمن أساليب البحث النوعي جمع وتحليل البيانات غير الرقمية ، مثل النصوص والصور والفيديو . يمكن استخدام هذه الأساليب لاستكشاف تجارب ووجهات نظر الأفراد والمجموعات المتأثرة بالمشاكل الاجتماعية . تتضمن الأساليب المختلطة استخدام الأساليب الكمية والنوعية في تصميم بحث واحد . يمكن أن يوفر هذا النهج فهماً أكثر شمولاً للمشاكل الاجتماعية من خلال الجمع بين نقاط القوة في كل من الأساليب الكمية والنوعية. بشكل عام، يعتمد اختيار الطريقة التحليلية على سؤال البحث ، ونوع البيانات المتاحة ، وأهداف الدراسة .

1. المسوحات والاستبيانات
2. الملاحظات والعمل الميداني
3. المقابلات ومجموعات التركيز
4. دراسات الحالة
5. التحليل الإحصائي واستخراج البيانات
6. تحليل النص والمحتوى
7. التصاميم التجريبية وتجارب المراقبة العشوائية
8. طرق مختلطة ونهج متعدد الأساليب
9. أساليب البحث التشاركي
10. ديناميات النظام والنمذجة الحسابية
1. النهج الوظيفي: يركز هذا النهج على الجوانب الإيجابية للمجتمع وكيفية مساهمة المؤسسات الاجتماعية في الأداء العام للمجتمع. 2
2. نهج الصراع: يدرس هذا النهج ديناميكيات السلطة وعدم المساواة داخل المجتمع ، وكيف تساهم في المشاكل الاجتماعية. 3
3. التفاعلية الرمزية: يدرس هذا النهج كيفية تفاعل الناس مع بعضهم البعض من خلال الرموز والمعاني ، وكيف تساهم هذه التفاعلات في المشاكل الاجتماعية. 4
4. النهج النسوي: يدرس هذا النهج كيفية تداخل النوع الاجتماعي مع العوامل الاجتماعية الأخرى لخلق مشاكل اجتماعية.
5. النظرية النقدية: يدرس هذا النهج كيفية نشوء المشاكل الاجتماعية بسبب التوزيع غير العادل للسلطة والموارد داخل المجتمع.

الصفحة المبينة في ادناه في الكثير من الموضوعات ذات الصلة والتي قد تكون مفيدة للباحث الحضيف .

<https://www.muthar-alomar.com/?p=1557>